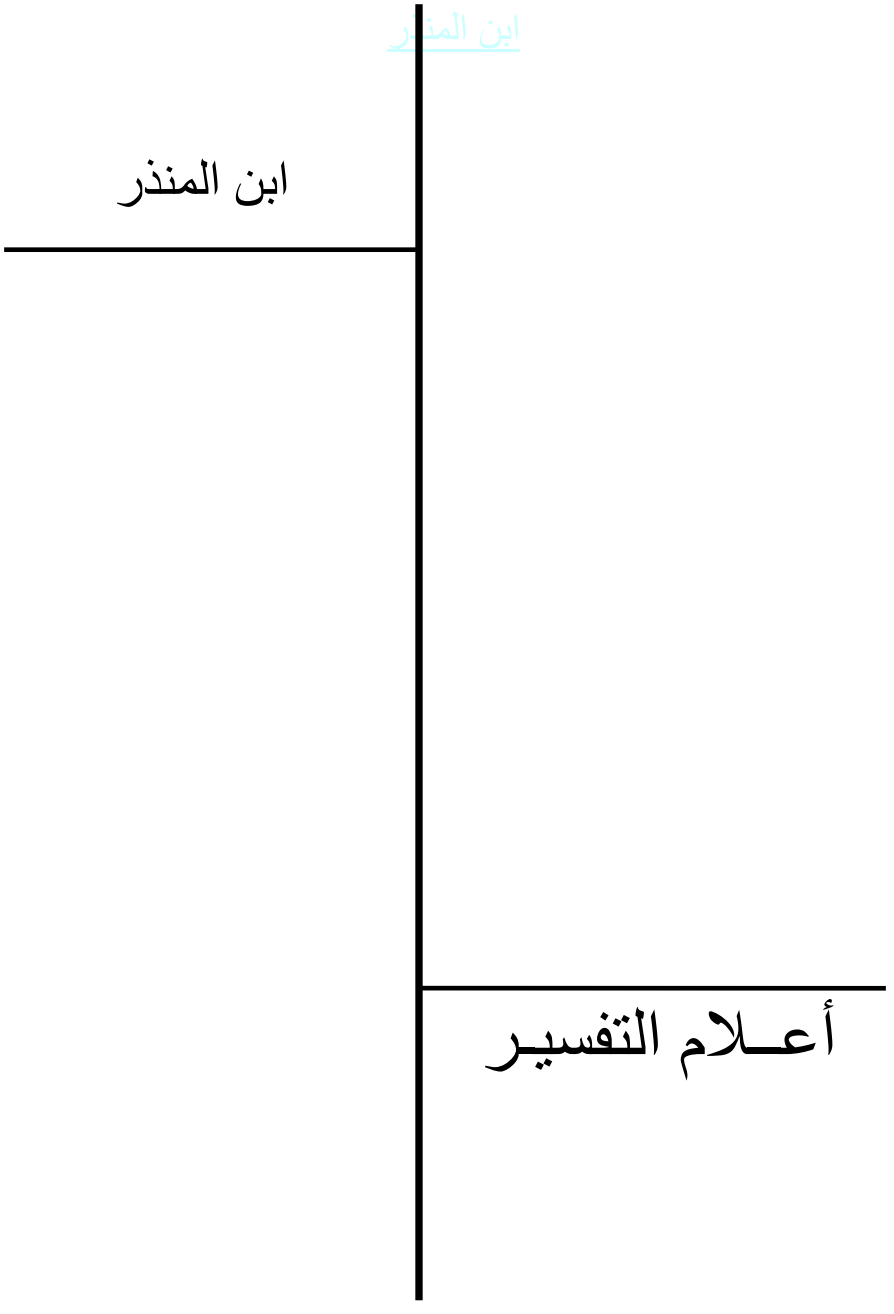
ابن المنذر
أعــلام التفسيـر

ابن المنذر المفسر
صاحب كتاب: " تفسير القرآن "

هو الإمامُ الحافظُ العلاّمةُ، شيخُ الإسلام، أبوبكر محمّد بن إبراهيم ابن المنذر بن الجارود النّيسابوريُّ الفقيه نزيل مكة [1].

لم يتفق المؤرخون على تحديد تاريخ ولادة ابن المنذر بالتّحديد إلاّ ما قاله الحافظُ الذّهبيُّ من أنّه: وُلد في حدود موت أحمد بن حنبل والإمام أحمد - كما هو معروف - توفي سنة 241هـ فمولد الإمام ابن المنذر قريب من هذا التاريخ، ولذلك أشار الزرِكْلِيُّ أنه ولد سنة 242هـ على سبيل الاحتياط [2].

شيوخُه:

روى عن الإمام: البخاريّ، والترمذيّ، وإسحاق الدَّبَريّ، وأبي حاتم الرّازيّ، والرّبيع بن سليمان، ومحمّد بن عبد الله بن عبد الحكم، ومحمّد بن إسماعيل الصّائغ، وعليّ بن عبد العزيز البغويّ.

وممن يكثر من الرواية عنهم في تفسيره للقرآن الكريم: زكريا بن داود، وموسى بن هارون، وعلي بن المبارك، وعلي بن عبد العزيز،

(1) مصادر ترجمته:طبقات العبادي 67، طبقات الشيرازي 108، تهذيب الأسماء واللّغات 196/2 197، وفيات الأعيان 207/4، تذكرة الحفاظ 782/3 783، ميزان الاعتدال 450/3، سير أعلام النبلاء 490/14، الوافي بالوفيات 336/1، مرآة الجنان 261/2، طبقات الشافعية للسبكي 102/3، العقد الثمين 407/1، لسان الميزان 27/5، طبقات المفسرين للسيوطى 28، طبقات الحفاظ 328، طبقات المفسرين للداودي 50/2، شذرات الذهب 280/2، طبقات الأصوليين 168/1، الأعلام 292/5، معجم المؤلفين 220/8.

(2) سير أعلام النبلاء490/14، الأعلام 294/5، مقدمة تحقيق تفسير ابن المنذر من تحقيق سعد بن محمد السعد، 1 /17.

وعلاَّن علي بن عبد الرحمن بن المغيرة، ومحمد بن علي النجّار، وعلي ابن الحسن، ويحيى بن محمد بن يحيى، وعلي بن عبد الله.

تلاميذُه:

من أشهرهم: ابن حبّان البستي، ومحمّد بن أحمد البلخيُّ، وأبو بكر الخلاّل الحنبليُّ، ومحمّد بن عبد الله بن يحيى اللَّيْثِيُّ، وأبو بكر ابن المقرئ وسعيد بن عثمان الأندلسيُّ، ومحمّد بن يحيى بن عَمّار الدِّمياطيُّ، وعبد البرّ بن عبد العزيز بن مُخارق، والحسين والحسن ابنا عليّ بن شعبان.

رحلاته:

ولد الإمامُ ابن المنذر وعاش في نيسابور، وذُكِرَ في ترجمته أنّه نزل بمكّة واستقرّ بها، وذَكَر في كتابه " الأوسط " أنّه سَمِعَ بمصرَ من بكّار بن قتيبة، وهذا يدلُّ على أنّه رحل إليها.

وقال الحافظُ الذّهبيّ: و لم يذكره الحاكم في " تاريخه " نَسِيَهُ، ولا هو في " تاريخ بغداد "، ولا " تاريخ دمشق "، فإنّه ما دخلها.

ومن الغريب عدمُ ذكر من ترجم له دخولَه بغداد أو غيرها من مدن العراق، وهي على طريق السّالك إلى مكّة المكرّمة. وربّما أنّ عدم إقامته في بغداد هي السّبب في عدم الإشارة إليه.

مكانتُه العلميّة وثناءُ العلماءِ عليه:

كان الإمام ابن المنذر إماماً في التّفسير، ومحدّثاً ثقةً، إلى جانب كونه فقيهاً مجتهداً بلغ درجة الاجتهاد الطلق، وهو وإن كان معدوداً من فقهاء الشّافعيّة إلاّ أنّه كان لا يتعصّب لقول أَحدٍ، بل يدور مع الدّليل حيث كان.

وللعلماء كلام كثير في الثّناء على هذا الإمام الجليل:

فقد قال تلميذه الإمام أبو بكر الخلاّل الحنبليّ: حدّثنا الأكابرُ

بخراسان منهم: محمّد بن المنذر [1].

وقال الإمام محيي الدِّين النّوويُّ: الإمام المشهور أحد أئمّة الإسلام... المجمع على إمامته وجلالته ووفور علمه، وجمعه بين التّمكّن في علمي الحديث والفقه، وله المصنّفات المهمّة النّافعة في الإجماع والخلاف وبيان مذاهب العلماء...، واعتماد علماء الطّوائف كلّها في نقل المذاهب ومعرفتها على كتبه، وله من التّحقيق في كتبه ما لا يقاربُه فيه أحدٌ، وهو في نهاية من التّمكُّن من معرفة الحديث، وله اختيارٌ فلا يتقيّد في الاختيار بمذهبٍ بعينه، بل يدورُ مع ظهور الدّليل[2].

وقال ابن القَطَّانِ: كان ابنُ المنذر فقيهاً، محدِّثاً، ثقةً [3].

وقال السُّبكيُّ: أحدُ أعلام هذه الأمة وأحبارها، كان إماماً مجتهداً، حافظاً ورعاً [4].

وقال الإمام قطب الدّين البهنسيّ: الإمام أبو بكر النّيسابوريّ أحد أئمّة الإسلام، المجمع على إمامته وجلالته ووفور علمه، وزهادته وعظيم ورعه وأدبه، وحفظه لكتاب ربّه، ومعرفته لواجبه وندبه [5].

وقال ابن ناصر الدّين: هو شيخ الحرم وفقيهه، حافظٌ فقيهٌ مجتهدٌ علاّمةٌ، ثقةٌ فيما يرويه، له مصنّفات عظم بها الانتفاع.

وقال الإمام الذّهبيّ - كما سيأتي في الكلام عن تفسير ابن المنذر - : ولابن المنذر تفسير كبير في بضعة عشر مجلّداً يقضي له بالإمامة

(1) طبقات الحنابلة 38/1.
(2) تهذيب الأسماء واللّغات 197/2.
(3) ينظر بيان الوهم والإيهام 640/5.
(4) طبقات الشافعية 126/2.
(5) انظر لصاحب الترجمة مقدّمة الأوسط 18/1.

في علم التّأويل أيضاً [1].

وقال تقيّ الدّين الفاسيّ: ثقةٌ حجّةٌ [2].

وقال الدّاوديّ: أحد الأعلام، وممّن يُقتدى بنقله في الحلال والحرام، كان إماما مجتهداً حافظاً ورعاً [3].

مؤلفاتُه:

ألّف الإمام ابن المنذر - رحمه الله - عدّة كتب معتبرة عند أهل الإسلام في التّفسير والفقه وأصوله وغيرها من علوم الشّريعة، ومن مصنّفاته:

1 - إثبات القياس.

2 - اختلاف العلماء: يوجد بعضه مخطوطاً.

3 - الإجماع: وهو مطبوع.

4 - الإشراف على مذاهب أهل العلم: وقد طبع بعضه، وبعضه مفقود. وهو مختصر من " الأوسط ". وكتاب " الإشراف " ذَكَره الصّفديّ والذّهبيّ والسّبكيّ وغيرهم، كما ذكره ابن خلّكان وقال: " هو كتاب كبير يدلّ على كثرة وقوفه على مذاهب الأئمّة، وهو من أحسن الكتب وأنفعها وأمتعها ".

5 - الاقتصاد في الإجماع والخلاف.

6 - الإقناع: وهو مطبوع.

7 - الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف: وقد طبع بعضه، وما زال غالبُه مخطوطاً. وهو مختصر من مختصر آخر هو " المبسوط "

(1) سير أعلام النّبلاء 492/14.

(2) العقد الثّمين 407/1.

(3) طبقات المفسّرين 55/2، نقلا عن مقدمة تحقيق تفسير ابن المنذر من تحقيق سعد بن محمد السعد، 1 /18 - 20.

فيما يظهر.

8- المبسوط و يظهر أنّه مختصر من كتاب "السّنن والإجماع والاختلاف".

9- تشريف الغنيّ على الفقير.

10 - جزء في حديث جابر في صفة حجّة النّبيّ ﷺ : ذَكَره النّوويُّ في " شرح مسلم ".

11 - رحلة الإمام الشافعي إلى المدينة المنورة:وهو مطبوع.

12 - كتاب أحكام تارك الصلاة.

13 - كتاب مختصر الصلاة.

14 - كتاب المناسك.

15 - كتاب الأذكار.

16 - كتاب الأشربة.

17 - كتاب تّفسير القرآن الكريم.

18 - كتاب السّياسة: ويوجد له مخطوط في مكتبة المخطوطات الشرقية في مدينة جوتا بألمانيا.

19 - كتاب العُمْرَى والرُّقْبَى.

20 - كتاب المسائل في الفقه.

21 - مختصر كتاب الجهاد.

22 - كتاب السّنن والإجماع والاختلاف.

23 - مختصر كتاب السّنن والإجماع والاختلاف ".

وفاته:

اختلف المؤرّخُون في تاريخ وفاته، إلا أن أكثرَهم، ذهبوا إلى أنه توفي سنة 318 هـ رحمه الله رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيحَ جنّاته،

آمين[1].

التعريف بكتاب التّفسير:

صرّح ابنُ المنذر أنّ اسم الكتاب هو " تفسيراً للقرآن ".

وسلك الإمامُ ابن المنذر النّيسابوريُّ في تأليف كتابه هذا منهج السّلف الصّالحين في تفسير القرآن، فسّر القرآن بالقرآن، وبالأحاديث النّبوية، وبالآثار الثابتة المسندة، من أقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، وأتباعهم رحمهم الله تعالى، وهذه هي طريقةُ السّلف الصّالحين في تفسير القرآن، وعلى هذا الطراز تفسيرُ الإمام الطّبري وتفسيرُ ابن أبي حاتم وغيرهما.

ولقد أثنى على كتاب ابن المنذر هذا عددٌ من أهل العلم:

فقال الحافظُ الذّهبيُّ: و " لابن المنذر تفسير كبير في بضعة عشر مجلداً، يقضي له بالإمامة في علم التأويل أيضاً "[2].

ونقل الحافظ ابن حجر منه في كتابه " العُجَاب في أسباب النّزول "، وعدّه ابن حجر في مقدّمة " العُجَاب " أحد الكتب الأربعة التي يدور عليها التّفسيرُ بالمأثور. كما نَقَل منهُ السّيوطيُّ في كتابيه " الدّرّ المنثور "، و " اللّباب "، ويتبيّنُ من خلال نقولهم أنّ " تفسير ابن المنذر " كان كاملاً لديهما من أوّل سورة الفاتحة إلى سورة النّاس.

وذَكَره السّبكيُّ في " طبقاته "[3]، والسّيوطيُّ والدّاوديُّ[4] في " طبقاتهما ". وقال الدّاوديّ: " لم يصنّف مثله "[5].

(1) مقدمة تحقيق تفسير ابن المنذر من تحقيق سعد بن محمد السعد، 1 /21 - 22.
(2) السير 492/14.
(3) طبقات الشافعية الكبرى 102/3.
(4) طبقات المفسرين للسيوطي 91، والدّاودي 151/2.
(5) طبقات المفسّرين 56/2، نقلا عن مقدمة تحقيق تفسير ابن المنذر من تحقيق سعد بن محمد السعد، 1 /27.

* * *